الحكيم والعبيط والعبد

بقلم : لاوسن

ترجمة : مختار السويفى

وهل يفعل العبد شيئا الا ان يشكو ؟ ! .. لقد ظل يبحث فى الناس عمن يستدر منهم الرحمة على حاله ويواسونه فى بلواه ...

وفى يوم ما قابل العبد رجلا حكيما ، واخذ يحكى له ما يلاقيه ، والدموع على خديه تسيل ، وتباكيه يكاد يفطر القلوب ..

ـ سيدى .. هل تعرف أى حياة اعيش ؟ .. انى اعامل كالكلاب .. انى آكل وجبة واحدة كل يوم .. وجبة من أعشاب الأرض قد تأنف من اكلها الخنازير .. وماذا ترانى اصيب منها ؟ .. ثمالة ضئيلة فى طبق حقير .. !

فقال الرجل الحكيم مواسيا :

ـ ان هذا امر سيىء للغاية .. يا حرام !

فرد عليه العبد وقد انتعشت نفسه بالمواساة :

ـ الم اقل لك يا سيدى ان هذا امر سيىء .. اذن ، فلتعلم يا سيدى ايضا انى اعمل كالثور جل الليل وطول النهار : فى الفجر املأ جرار المياه ، وقبل الشروق اعد الافطار ، ومن الصباح الى الضحى أوزع الرسائل واشترى الحاجيات .. وعند الظهر اطبخ .. وعند العصر أطحن الحبوب .. وبعد الغروب اعد العشاء .. وفى نصف الليل اغلى « عش الغراب » واعد الفناجين .. وحتى الفجر اظل مؤتمرا باوامر المقامرين .. سيدى الكبير ورفاقه العظام ! .. انا عندما تصحو السماء اغسل الثياب ، وان امطرت احمل « المطرية » واسير وراء الاسياد .. !

فقال الحكيم متنهدا فى اشفاق ، والدموع تكاد تطفر من عينيه :

ـ يا حرام .. يا حرام ! !

فقال العبد فى نغمة من وجد اخيرا شخصا يواسيه :

ـ ارايت يا سيدى ؟ .. انى لا استطيع أن احتمل اكثر من ذلك .. لابد ان اجد مخرجا .. ولكنى لا اعرف كيف ؟ !

فقال الحكيم مستلهما منابع الحكمة :

ـ لا شك أن الأمور ستتحسن ..!

فرد العبد كمن عادت اليه الروح:

ـ هل تظن ذلك يا سيدى ؟ .. ليته يكون ! .. ها أنذا قد حكيت لك حياتى ياسيدى ، فواسيتنى وشملتنى بعطفك ورحمتك .. انى أشعر الآن بالتحسن .. ان هذا يدل على أن العدل ما زال يأخذ مجراه فى هذا العالم .. ! !

* * *

ودارت الأيام ...

وقابل العبد رجلا عبيطا .. واخذ يبثه شكواه .. ويسترحمه على بلواه .. وبين الدموع قال :

ـ سيدى . . هل تعرف أين اعيش؟.. عشة قذرة انتن من حظيرة الخنازير .. ان سيدى الكبير لا يعاملنى كانسان .. انه يعامل كلبه اكرم منى عشرة آلاف مرة ! !

ـ يخرب بيته !..وكيف تسكت..؟

ـ يا سيدى اسمعنى .. ان كوخى حقير .. حقير جدا وتحت الأرض فى بدروم .. بارد جدا ورطب للغاية.. اعيش فيه أنا واكثر من مائة الف بقة .. ينهشون جسمى ويعضون لحمى كأن لم يكفهم الحيطان والخشب .. الجو فى كوخى مكتوم لا هواء فيه .. يخيل اليك كأنك ستختنق . . ولا نافذة هناك تدخل نسمة واحدة ترد اليك الروح ...

ـ يخرب بيتك .. والا لماذا تسكت .. لماذا لم تطلب من سيدك أن يفتح لك نافذة ..

ـ ويلاه .. وكيف اجسر ؟ !

ولأن الرجل كان عبيطا ، فقد جذب العبد من يديه وهو يصيح بأعلى صوت ممكن :

ـ لا .. فلترنى القبر الذى تعيش فيه .. كيف يكون بلا نافذة ؟

وعندما وصل الاثنان الى الكوخ ، تقدم العبيط واخذ يحفر الحائط ، فهب العبد مذعورا وصاح :

ـ سيدى .. ما هذا الذى تفعل ؟

ـ افتح لك نافذة .. الا ترى ؟!

ـ سيدى . . هذا مستحيل .. ان سيدى الكبير سيشتمنى !

ـ فلتدعه .. لابد أن تفتح لك نافذة ..

واستمر العبيط فى الحفر .. ولم يجد العبد بدا من أن يصرخ عاليا ويبكى ويلطم خديه :

ـ الحقونى . . الحقونى . . لص يهدم البيت .. اسرعوا والا انهدم الحائط !

ثم ارتمى العبد على الارض وهو يبكى ويندب .. وجاء عبيد كثيرون وابعدوا العبيط .. ثم جاء اخيرا ـ وئيد الخطى ـ السيد الكبير ..

فقام العبد من الأرض وانحنى .. وقال وشفتاه على وشك أن تذوبا من حرارة الاحترام :

ـ لقد جاء لص شرير اراد أن يهدم الدار ! فصحت عاليا وجمعت الرفاق .. ثم طردناه سويا ..

فهز السيد الكبير رأسه وقال :

ـ لقد أحسنت !

وكان النـــــاس قد تجمعوا ليروا ما يدور .. وكان بينهـــم الرجـل الحكيم .. فتقدم اليه العبـد مزهوا يقول :

ـ ارايت يا سيدى ؟ .. لانى قد جعلت نفسى مفيدا فقد ظفرت بثناء سيدى الكبير .. عندما قلت لى فى الماضى « لا شك ان الأمور ستتحسن» كنت تقول الحق وتنظر الى بعيد ..

فهمهم الحكيم فى سرور :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح ! !